

كتاب المفاخر

- الباب الأول: في فضيلة السخاء والجود.
- الباب الثاني: في اصطناع المعروف.
- الباب الثالث: في مذمة البخل والبخيل.
- الباب الرابع: في حكايات البخلاء.
- الباب الخامس: في أجواد العرب في الجاهلية.
- الباب السادس: في أجواد الإسلام.
- الباب السابع: في مكارم الكرام.
- الباب الثامن: في حكايات أهل الفتوة.
- الباب التاسع: في مكارم الأخلاق.
- الباب العاشر: في الفرق بين الفتوة والمروءة.
- الباب الحادي عشر: في حديث نعمان.

الباب الأول

في فضيلة السخاء والجود

اعلم أن الدين مبني على الجود والسخاء. قال الله تبارك وتعالى: «هذا دين أرتضيه لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه»: والأولياء جبلوا على السخاء وهو أخو الإيمان، فقد قرن الله سبحانه وتعالى السخاء بالإيمان فقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا أَكْفَرًا نَّاعِقًا وَاتَّقُوا ۗ وَمَدَدَ بِأُتَيْتَ ۗ﴾ [الليل: ٥ - ٦] وقال رسول الله ﷺ: «يا زبير أنا رسول الله إليك خاصة وإلى الناس عامة». يقول الله تعالى: «أنفق أخلف عليك، ولا توك فيوكى عليك^(١)، ووسع يوسع الله عليك، ولا تضيق فيضيق الله عليك»، واعلم أن فضول الأموال سوى الأرزاق التي قسمها الله بين العباد محتبسة عنده، لا يعطي أحدا منها شيئا إلا من سأله عشية الخميس وليلة الجمعة، وقال: «لما خلق الله تعالى الإيمان، قال: اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء، ثم خلق البخل وجعله في الكفر، ثم قال: يا ملائكتي السخي قريب مني، قريب من جنتي، قريب من ملائكتي، بعيد من النار». قال الله تعالى: «وعزتي وجلالي لا يجلورني في جنتي بخيل»: وفي حديث آخر: «لا يجتمع الإيمان والشح في قلب رجل مؤمن أبدا»؛ يقال: ثواب الجواد ثلاثة: خلف ومحبة ومكافأة، وثواب البخيل ثلاثة: حرمان وإتلاف ومذمة.

وقال ﷺ: «سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وسادة الناس في الآخرة الأنبياء». وقال: «إن الله تعالى يبغض البخيل في حياته السخي عند موته»، وقال: «السخي الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل»، وقال: «ألا إن البخل من

(١) توك: من الإكاء، ويقال: سئل فأوكى، والإكاء كل ما شد من وعاء ونحوه. "القاموس المحيط".

الكفر والكفر في النار، ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة». قال الشافعي رحمه الله: السخاء والكرم يغطي عيب الناس في الدنيا والآخرة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم عن أجود الأجواد قالوا: بلى يا رسول الله قال: الله تبارك وتعالى أجود الأجواد، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم بعدي رجل علم علما ينشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله تعالى حتى يقتل»، وقال: «إليك انتهت الأماني يا صاحب العافية»، معناه: أن صاحب العافية يصبح وحاجته تلك يتمناها الأموات والأحياء، فأما الأموات فمن كان مسيئا فليُراجِع ومن كان محسنا فليزدد. وقال الله تعالى: ﴿لَنْ نَنأُوأَ الْبِرَّحَتَّ نُنْفِقُوا مِمَّا كُتِبُوا﴾ [آل عمران: ٩٢] جعل الله الجنة باقية والمال فاتيا ثم جعل الفانية طلبا للباقية فالعجب كل العجب ممن آثر الفاني على الباقي، وقال: «ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله تعالى، قلنا: يا رسول الله، وما إثابة الكافر؟ قال: إن كان قد وصل رحما له أو تصدق بصدقة أثابه الله، وإثابته إيتاء المال والولد، قلنا: يا رسول الله: وما إثابته في الآخرة؟ قال: عذاب دون عذاب»^(١).

نادرة في السخاء: قدم خالد بن الوليد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسراء من الروم فعرض عليهم الإسلام فأبوا، فأمر بضرب رقابهم حتى إذا جاءوا إلى آخرهم وبقي واحد، فما حاكت فيه السيوف، فتعجب منه النبي صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل، فقال: «لا تقتله فإنه سخي، وإن الله تعالى يحب الأسخياء»؛ وهذه بركة السخاء ولما أهلك الله تعالى فرعون قال موسى: «يا رب ما بال فرعون كنت أدعو عليه فلم تهلكه حتى الآن؟ فقال: يا موسى أما علمت أتى آليت على نفسي أن لا أضرب الأسخياء في الدنيا والآخرة وإن كانوا كافرين وفرعون - لعنه الله - كان سخيا فلما اتخذ الحجاب وأظهر الشح والبخل أهلكته»؛ ولما سمع حاتم الطائي قول المتملس. قيل:

(١) أي: يقتل من عذابه ويُهَوَّن عليه من بعضه في الآخرة.

المال تصلحه فيفنى، فقال: قطع الله لساتيه، وأخشم أنفه^(١)، وأعمى عينه، هلا قال: وما الجود يفنى المال قبل فوائه ولا البخل في مال البخيل يزيد فلا تلتمس ما لا تعيش بكده لكل غد رزق يعود جديد^(٢)

الباب الثاني

في اصطناع المعروف

قال رسول الله ﷺ: «اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس أهله، فإن أصبت أهله فأنت أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله»،^(٣) وسئل رسول الله ﷺ عن ابن الرشدة وعن غير ابن الرشدة فقال: «من كافأ بالإساءة على الإحسان فهو لغير رشدة، ومن كافأ عن الإساءة بالإحسان فهو ولد رشدة». فاصطنعوا البر يا معشر الكبراء وأعيان الوزراء وجماعة الرؤساء - وقاكم الله الأسواء إلى خلق الله تبارك وتعالى؛ لتحوزوا ثواب الله آدميا كان أو بهيمة، فما ضاع عرف بين الله تعالى وبين الناس.

أما سمعتم أن الله تبارك وتعالى أدخل امرأة فاجرة الجنة بسبب كلب رأتها يلهث عطشا، ففتحت خمرها وأسقته الماء، وأدخل الله عجوزا النار بسبب هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي خلقتها تأكل من خشاش الأرض، وفي الخبر: «أن الرجل من أهل النار ينظر إلى الرجل من أهل الجنة، فيقول: يا فلان ما تذكر يوم اصطنعت إليك في الدنيا معروفا، فيقول: اللهم إن هذا اصطنع إلي في الدنيا

(١) أي: قطع خيشومه.

(٢) الببتان من بحر الطويل.

(٣) أي: إن أصبت من كان أهلا للمعروف، فذاك حري بك أن تنزل المعروف به، وإن لم يكن أهلا لذلك فحري بك أيضا أن تحسن إليه فهو محتاج لإحسانك وإن لم يكن هو نفسه يستحق هذا الإحسان، والله أعلم.

معروفا، فيقول له: خذ بيده فأدخله الجنة».

وقال رسول الله ﷺ: «أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة»، قلنا: يا رسول الله، ما معروف الآخرة؟، قال: «إذا كان يوم القيامة يأتي الله بقوم من أممي فيدخلهم الجنة بغير حساب؛ لقوله تعالى: ﴿مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ﴾ [التوبة: ٩١] ويأتي الله تعالى بقوم فيدخلهم النار بغير حساب، ويأتي الله تعالى بقوم فيحاسبهم فتزيد سيئاتهم على حسناتهم، فيقول الله تعالى: يا عبادي من نبيكم؟ - وهو أعلم - فيقولون: من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فيقول: هل زيد في سيئاتكم شيء؟ فيقولون: لا يا ربنا، فيقول: هل نقص من حسناتكم شيء؟، فيقولون: لا، فيقول: عبادي علام كان اتكالكم؟، فيقولون: على حسن ظننا بك يا رب، فعند ذلك يأمر الله تعالى رضوان خازن الجنان أن أخرج الذين أدخلتهم الجنة بغير حساب، فدعاهم فخافوا، فيقول: هؤلاء إخوانكم من أمة محمد ﷺ قد زادت سيئاتهم على حسناتهم، فهبوا لهم حسناتكم، فيهبون حسناتهم فيدخلهم الجنة، فعندها قال النبي ﷺ: أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة».

وقال الله تعالى لعيسى عليه السلام: كن في الحلم كالأرض تحمل العباد، وفي السخاء كالماء الجاري، وفي الرحمة كالشمس والقمر يطلعان على البر والبحر، وعلى البر والفاجر، فقال: إني أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر لعله لا يقع^(١).

الباب الثالث

في مذمة البخل والبخيل

اعلم أن البخل داء لا دواء له، وقد قرن الله البخل بالكفر في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِآيَاتِنَا ﴿٩﴾﴾ [الليل: ٨ - ٩] وقال النبي ﷺ:

(١) لعل معنى كلامه - والله أعلم - : لا أترك إحسانا إلى أحد من الناس لكونه قد بسىء فيما يستقبل من الزمان.

«البخيل لا يدخل الجنة»^(١) وكان بعض الطعام لا يقبل شهادة البخيل، ورأى رسول الله ﷺ رجلاً معقفاً بأستر الكعبة يقول: يا رب اغفر لي، يا رب اغفر لي، وما أراك تفعل، فقال: ولم تراه لا يفعل؟ ما شئتُك؟ قال: إني رجل صوام قوام كثير المال إلا أنني إذا نزل بي ضيف أو أتني سائل فكأنما تشتعل في قلبي شعلة نار، فقال النبي ﷺ: «تنح عني لا تحرقني بنارك، فوالذي أرسلني بالهدى لو صمت ألف عام وصليت ألف عام بين الركن والمقام، وجرت من دموعك الأنهار، ثم مت وأنت لنيم أبكك الله في النار» واللوم من الكفر، والكفر في النار، والسخاء من الإيمان والإيمان في الجنة.. قال بشر: النظر إلى البخيل يقسي القلب، قالوا: جود الرجل يحبه إلى أصداده، وبخله يبغضه إلى أولاده، وفي الخبر: «أن النبي ﷺ قال للرجل الذي سأله عن ترك ديناراً قال: ترك كية، قال: ترك دينارين قال: كيتين» وهذا من المال الذي ترك حقه الراتب^(٢)، فأما إذا أدى حق الله تعالى فليس ذلك بكية. وسئل بعض الطعام: لماذا أمر بكية ثلاثة مواضع؟، فقال: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]، قال: لأنهم لما قيل لهم لم بخلتم بالزكاة؟ قالوا: إنها وجهنا فنضن بها ليتبقى لنا ماء الوجه، قال الله تعالى: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ كي يذهب بشاشتها وماءها في الوقت، ثم قال: ﴿وَجُنُوبُهُمْ﴾ لقولهم: المال للرجل ظهر، فمن لا مال له لا ظهر له. فيقال للبخيل: هذا مالك الذي كنت تبخل به فيكون لك كيات، وقال النبي ﷺ: «لما خلق الله تعالى الإيمان، قال: إلهي قوني فقواه بحسن الخلق. ثم خلق الكفر، قال: إلهي قوني فقواه بالبخل، ثم خلق الجنة، ثم قال: يا ملائكتي السخي قريب مني

(١) أي: مع أول الداخلين لها، حتى يعفو الله عنه أو يحاسبه فيعاقبه أو يشفع فيه النبي ﷺ أو أحد من أمته ﷺ.

(٢) أي: زكاة واجبة أخرج هذا المال عنها أو إنفاقاً على من تجب عليه نفقته كوالدين مستحقين أو عيال، أو مواساة واجبة في نازلة نزلت بالمسلمين.

قريب من ملائكتي قريب من جنتي بعيد من النار».

وقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لفاسق سخى أحب إلى الله تعالى من مسلم بخيل»، وفي الحديث: أن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام، فقالوا: سل ربك متى يرضى عنا، ومتى يسخط علينا؟ فأوحى الله تعالى إليه: إنني إذا أنزلت الغيث في زمانه، وأمّرتُ عليكم خياركم، وجعلتُ مالكم عند سمحائكم؛ فإني عنكم راض، وإذا أنزلت الغيث في غير أوانه، وأمّرتُ عليكم شراركم، وجعلتُ أموالكم عند بخلائكم؛ فأنا عليكم ساخط - فنسأل الله تعالى الرضا.

الباب الرابع

في حكايات البخلاء

كان رجل بخيل إذا وقع في يده درهم أو دينار نقره بيده ثم وضعه على كفه ويقول: سبحان الله هذا أجل الأشياء إلى الله، فيه شفاء ووفاء يا نور عيني وثمره فؤادي، كم مدينة دخلتها، وكم يدا وقعت فيها فلم يعرفوا قدرك، فذاك أبي وأمي، الآن استقرت بك الدار، واطمأن بك المزار، ونجوت من خطر الأسفار وأيدي التجار، لك البشارة في كيس ملمع وصندوق منقش، وكان يقبله ويضعه في الصندوق.

حكاية: اجتمع ثلاثة من البخلاء فقالوا: تعالوا ننظر أينما أبخل، فقال أحدهم: أنا أبخلكم لأني أبخل بمالي على الناس، قال الآخر: بل أنا أبخل لأني أبخل بمال الناس على الناس، وقال الثالث: أنا أبخل لأني أبخل بمال الناس على نفسي، فأجمعوا على أنه أبخل.

حكاية: شيخ بخيل غلب عليه الدم فأراد أن يحتجم فضاق قلبه في إعطاء دائق^(١)، فكل يوم يأتي الحجام ويرى الناس يفتصدون ويتحسر، فرأى يوما على

(١) أي: سدس درهم، أي: (٠,٤٩٦) جرامًا من الفضة.

ظهر رجل قارورتين، فقال: بكم تصنع هذه؟ قال: بدائق ونصف، فأخرج يده وقال: اضرب واحدا على هذا الحساب إما بأسليفاً^(١) وإما فيقالاً لا أقل من واحد ولا أكثر، فعلم أنه بخيل فقطع عرقه فانتفخت يده ومات، فصار مثلاً: «ما منع من الحجام أعطى الطبيب».

حكاية: مجوسي بهراة كان شقياً فقتل: في جميع عمري لم آكل شاة، فقام رجل مسلم ونقب سطحه، وأخذ له أربعة آلاف دينار، ونوى في نفسه إن لم يفضحني الله في هذا الأمر أتوب وأرجع، فلم يصل إليه مكروه، فتاب وأنفق ماله في سبيل الله تعالى، فقيل: إنك لا تؤجر عليه، فقال: عون الإسلام أحب إلي من عون الكفر^(٢).

وسبب توبة حبيب العجمي أنه كان بخيلاً فطبخ قدراً، فجاء سائل فنهره، فصار القدر كله دماً عبيطاً فتاب، ولم يرد ساقلاً.

حكاية: كان رجل بخيل ففرق في الماء فلدركه الملاح، فقال: كم تعطيني حتى أنجيك؟ قال: قيراطاً^(٣) وسدس حبة^(٤)، فقال بل درهما^(٥)، قال: لا أعطيك إلا قيراطاً وحبة دعني أغرق، فقال الملاح: يا بغيض الله، هذا وقت المصارفة فأرسله ففرق.

(١) لعله قصد (الباسليقون) الحاد، يستعمل في علاج الظفرة، وهي زيادة عصبية في الحجاب الملتح من المآق الأكبر فتنبسط الذخيرة في الطب - ثابت بن قرة - ط المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٣٨م - ص ٣٧.

(٢) لكن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، والحرام هو الحرام وإن أخذه من مجوسي بخيل أو غيره، والحكاية هنا إما هي للتندر والعظة من عواقب البخل وأهله، وأنه ربما بخل به ثم أخذه سارق أو ورثة غيره.

(٣) القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وعند الجمهور: (١/ ٢٤) من الدينار إذن ١/ ٢٤ × ٢٥ / ٤ = ١٠٠ (وزن الدينار ذهباً) × ١٥٠ جنيه (ثمان جرام الذهب تقريباً) = (٢٦.٧) جنيه تقريباً.

(٤) الحبة: وزن للنوع من الحبوب (الأجزاء) التي يتركب منها الدرهم والدينار وباقي الأوزان، وتساوي (٧٢ / ١) من الدينار، أي: (٨,٨٥) جنيه تقريباً.

(٥) الدرهم يساوي (٢,٩٧٥) جراماً فضة تقريباً.

حكاية: أضاف رجل رجلا بخيلا فأكل أكلا لَمَّا فأصابه القولنج^(١)، فقال الطبيب: لا بد من القيء، قال: دعني أموت ولا أتقيأ القليلة والبيض، فلم يتقيأ حتى مات. وكان بقزوين شقي جمع أموالا عظيمة فلم يأكل منها شيئا، فطرقته اللصوص في بعض الليالي وخنقوه وأخذوا جميع ماله. وكان بنيسابور بخيل فملك ثلاثمائة جمل بأحمالها وأقتابها^(٢)، وكان يتجر فقتل في الطريق، فلما جرح صار يقول: احفظوا الجمل الفلاني ومات. فقلت: «رب مانع لخليله جامع لبعل حليله»^(٣)، والله أعلم.

الباب الخامس

في أجواد العرب في الجاهلية

هاشم بن عبد مناف، وأمّية بن عبد شمس، وعثمان بن عمرو بن كعب بن مرة، سمي شارب الذهب لكثرة نفقاته، وعبد الله بن عمرو بن جدعان قومه حجروا عليه من كثرة عطاياه، فإذا أتاه زائر منتجع^(٤) يقول له: اقعِدْ إلى جنبي فإني أطمك ثم طالبني بالقصاص ولا ترض إلا بما تريد. هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، اتخذت قريش موته تاريخا.

فأصبح بطن مكة مقشعرا^(٥) كأن الأرض ليس بها هشام^(٥)

أبو دوانة قال: قدمت مكة معتمرا، فقلت: أما من مضيف؟ فقالوا: فلان، فأتيته فإذا أنا بالحارث بن هشام على سريره وبين يديه جفان فيها خبز ولحم

(١) القولنج: هو أنواع، ويكون معه ألم بالبرد وريح باردة نافخة. "الذخيرة في الطب" - ص ٧٩.

(٢) الأقتاب: جمع (قَتَب)، وهو الإكفاف على قدر سنام البعير.

(٣) أي: يجمع مالا ويتركه لبعل خليلته أي زوج امرأته الذي يخلفه عليها.

(٤) منتجع: أي أتاه طالبا معروفا.

(٥) الأقتاب: جمع (قَتَب)، وهو الإكفاف على قدر سنام البعير.

وكعب بن مامة بن إباد. وحاتم بن عبد الله بن سعد الطائي. وأوس بن حارثة وأحاديثهما أكثر من أن تحصى، قال جرير لعمر بن عبد العزيز:

فما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا^(١)

فهذا يا معشر العظماء خلاق من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فهل ترى اليوم في الحنيفة من يباريهم ويساموهم هيات، ذهبت الرجال وبقيت ربات الحجال^(٢):

رجال إن يؤلمهم لبيد بكى الخلف الذي يشكو لبيد^(٣)

الباب السادس

في أجواد الإسلام

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنهما - له أحاديث عجيبة منها: أن صرافا قام للناس بتسعة آلاف دينار فلزمه غرامؤه، فسألهم أن ينفسوه حتى يتحمل، فقالوا ما نرضى إلا بكفيل هو فلان، فقصده الغرماء به فخلى الصيرفي حاله فقال: اضمني إلى وقت كذا، فقال لغرمائه: انتوني بصكوكم فأتوه بها فحرقها، وقضى عنه تسعة آلاف دينار، ولم يكن بينه وبينه حرمة ولا خلطة.

والسفاح، وهو عبد الله الأصغر بن محمد بن علي، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وله أحاديث عجيبة. أتاه رجل وقد قُدمت راحلته ليركبها، فقال: أنا رجل منقطع بي؛ فأعطاه الراحلة بما عليها، فقام الغلام ليأخذ السيف من قرابه، فصاح به عبد الله أن دعه، وقال: يا هذا لا تخدع عن السيف فقد اشتريته بألف دينار. وجاءته

(١) البيت من بحر الوافر.

(٢) الحجال: جمل (حجل) كالحقبة، وموضع يزين بالثياب والستور للعروس. "القاموس المحيط".

(٣) البيت من بحر الوافر.

امرأة وقالت: تقرنك خلتك السلام هذه بجلجة ربيتها وسمنتها، فلم أر أحدا أحق بها منك فأخذها وأمر لها بألف درهم، فقالت: أبقك الله، فقال: زيودها ألفا، فقالت: حفظك الله، فقال: زيودها ألفا، فقالت: أمتعي الله بك فقال: زيودها ألفا، فقالت: جعلني الله فداك، قال: زيودها ألفا، فقالت: حسبك يا مسرف، فقال: لو تبت لتبت.

وعبد الله بن جعفر كريم الدنيا، قال المطيع لمولاه: اكتب علي صحيفة لفلان على عبد الله بن جعفر ثلاثمائة دينار حائلة، ثم قال: اعرض عليه، قال: كيف أعرض ولا معاملة ولا معرفة لي؟ قال: افعل ما أمرتك فسلم عليه وألقى الصحيفة، فقال: عبد الله: كم فيها؟ قال: ثلاثمائة دينار، قال: ادفعها إليه ولم يأخذ الصحيفة، فجاء وقال: ما رأيت أعجب من هذا، قال: احتفظ بالديناتير وارجع إليه وقل مثل ذلك، فرجع، فأعطاه ثلاثمائة أخرى، فجاء متعجبا، فلما مضى شهر، قال: ارجع إليه، فرجع فأعطاه ثلاثمائة أخرى، فركب المطيع ومولاه والمال وقد جمعه، فقال: يا أبا جعفر اتق الله وانظر لنفسك ونمته، فإن لك معادا أتاك مولاي هذا يذكر أن له عليك ثلاثمائة دينار، ولم يكن بينكما معاملة، فلا تزيد علي أن تقول كم هو؟ أعطوه حتى أخذ منك تسعمائة دينار، فقال: إن الله تعالى قد عودني عادة وعودت عباده عادة، فإذا غيرت عادتي غير عادته علي، أيرجع إلي شيء خرج من عندي، هو له حلال طيب.

وظلحة بن الحسن بن علي بن طلحة الخير. وعبيد الله بن أبي بكر؟ ومن بني أمية سعد بن سعيد بن أمية كان ينحر كل يوم جزورا^(١) ويطعمها الناس. وعبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، وله حياض عرفات، وسوق البصرة اشتراه من ماله ووهبه لأهله. وحمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام، وظلحة ابن عبد الله بن عوف كان يأتيه الرسول فيسلم عليه ويعدده ويأتيه الثاني والثالث

إلى أن يجتمع عنده رجال بعدد ما عليه من الثياب، ثم يدخل فيخلعها على واحد واحد ويقول: ناولني شيئاً أستتر به، وهو طلحة الندي، وعمر بن عبد الله بن معمر بن عثمان، وله أحاديث كثيرة: اشترى جارية من أبي حراثة التيمي بمائة ألف درهم وكان بها مشغوفاً، فلما قبض المال ذهبت الجارية لتخرج فتعلق بها وتسمى شباسة، وأنشد:

تذكر من شباسة اليوم حاجة أبت كمدا من حاجة المتذكر
فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
أبوء بحزن من فراقك موجع أناجي به قلبا كثير التفكير
عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر^(١)

فقال ابن معمر: قد شئت هي لك وثمنها، وطلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد جواد ممدوح. والحكم بن عبد المطلب. والمغيرة الأعور. وهشام بن المغيرة أجواد يطعمون الناس. وعبد الله بن صفوان. ومحمد بن عمر بن عطار حمل ألف رجل على ألف فرس انهزموا إليه في بكر بن وائل في أنزبيجان في غداة واحدة. ونهشل بن عمرو بن عبد الله. وعتاب بن ورقاء من بني رباح. ومن فزارة أسماء بن خارجة بن حصن. ومن ربيعة عكرمة الفياض، والحريث بن مرة العبدي، قسم في يوم واحد ألف رأس من الإبل، والله تعالى أعلم^(٢).

(١) الأبيات من بحر الطويل.

(٢) وعلى أن الكرم والجود كان سجية في العرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام إلا أن إنفاق المرء باستحضار نياته وهو مسلم مخلصاً لربه فيما ينفق وتجدد به نفسه لا يعادله الكثير والكثير من السخي حال كونه كافراً أو مشركاً، وفي الحديث «أصحابي أصحابي، فإته لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم أو نصيفه».

ربيعة، فخرج الرجل عجلاً، وقال: مرحبا وأهلاً، فقال: ما أنا بداخل حتى تقضي حاجتي، جنتك خاطبا ابنتك على ابن أخيك، وقد أصدقتها عشرة آلاف درهم، قال قد زوجته. يا معشر الرؤساء ويا أصحاب العظم استحيوا من الله تعالى حق الحياء، هذه المكارم لا قعبان من لبن^(١).

مكرمة أسماء بن خارجة: فسخاؤه وجوده لا يوصفان، تقدم يوماً إلى باب داره فوجد فتى، فقال: خير، قال: خير، فألح عليه، قال: جئت مسلماً على صاحب هذه الدار فخرجت إليّ جارية فاختطفت قلبي فجلست حتى أنظر إليها ثانياً. قال: أوتعرفها؟ قال نعم، فدعا الجواري فجعل يعرضهن عليه حتى مرت، فقال: هي تلك. فقال مكانك ثم دخل الدار فأبطأ ثم خرج إليه، وقال: إنها لم تكن لي كانت لبعض بني فابتعتها بثلاثة آلاف درهم خذ بيدها بارك الله لك فيها. هذه مكارم الأخلاق لا قعبان من لبن، وقال: ما بذل لي رجل ماء وجهه فرأيت شيئاً من الدنيا وما فيها عظمت أو قلت بدلاً له ثم أتشد:

إذا ما مات خارجة بن حصن	فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع البشير بغنم جيش	ولا حملت على الظهر النساء
فيوم منك خير من أناس	تروح عليهم إبل وشاء
فبورك في بنيك وفي بنيهم	إذا ذكروا ونحن لهم فداء ^(٢)

مكرمة سعد بن العاص: قال: ما أدري كيف أكافئ رجلاً بات يقسم فطنته، فلا يقع إلا على أصبح يتخطى الناس والمجالس من الأحياء والأموات حتى يكرمني بنفسه، ويؤنسني بحديثه، غدا التجار إلى تجاراتهم وغدا إليّ، فإن كنت أبخس بحظه أبخس الله تبارك وتعالى بحظي يوم القيامة.

(١) أي: ليس الكرم مجرد الأقداح الضخمة من اللبن التي تجلوها للناس وتعدون هذا كرمًا منكم.

(٢) الأبيات من بحر الوافر.

مكرمة مورك العجلي: كان يتلطف في إدخال الدراهم على إخوانه كان يضع عندهم ألف درهم، فيقول: أمسكوها حتى أرجع إليكم ثم يرسل إليهم: أنتم منها في حل.

مكرمة علي بن الفضل: كان يشتري من باعة المحلة، فقيل له: لو دخلت السوق واسترخصت، فقال: هؤلاء نزلوا بقريتنا رجاء منفعتنا.

مكرمة: بعث رجل إلى رجل جارية وكان بين أصحابه، فقال: قبيح إن اتخذتها لنفسى وأنتم حضور وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتل القسمة، وكانوا ثمانين فأمر لكل واحد بجارية أو وصيف.

مكرمة: لما قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة ومعه عشرة آلاف دينار، فقيل له: تشتري بها قرية فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير، فكل من دخل عليه قبض قبضة وأعطاه، فلما جاء وقت الظهر نفص الثوب ولم يبق شيء.

مكرمة: أضاف عبد الله بن عامر رجلا فأحسن قراه، فلما هم بالرحيل لم يعنه غلمانة فشق عليه، فقال عبد الله: إنهم لا يعينون من يرتحل عنا.

مكرمة: كانت عجوز في جوار عبد الله بن طاهر ولها أربع بنات فقيل لها: أنت فقيرة فلو بعث دارك وتوسعت بها على نفسك وعيالك فقالت: نعم غير أنني لا أبيع جوار عبد الله بن طاهر بالدنانير، فانتهى إليه الخبر؛ فدعا عبد الله دلالة النساء، وقال: إن لي أربع بنات فاطلبي أزواجا كراما، فجهزن كل واحدة بمائة ألف من خزانته.

كان لعبد الله بن المبارك جار يهودي فأراد أن يبيع داره فقيل له: بكم تبيع؟، قال بألفين فقيل: لا تساوي إلا ألفا، قال: صدقتم، ولكن ألف للدار وألف لجوار عبد الله فأخبر ابن المبارك فدعاه فأعطاه ثمن الدار، وقال: لا تبعها.

مكرمة: قيل لامرأة مدنية: ألا ترتحلين إلى بغداد للعيش الطيب، فقالت: لا

أبيع جوار هذا القبر بنعيم الدنيا.

مكرمة: مر النبي ﷺ على أبي بن كعب ؓ وهو يلازم غريما، فقال لأبي: «أحسن إلى أسيرك»، ومضى النبي ﷺ، فقال لغريمة: قد وهبت منك ألف درهم لوجه الله تعالى، وألفا لأجل النبي عليه السلام، وألفا لأجلك لأنك مسلم وخلي سبيله، ثم قال: ما فعلت شيئا فدعاه وأعطاه ثلاثة آلاف درهم، وقال: ألف لوجه الله تعالى، وألف لأجل النبي عليه السلام، وألف لأجلك، ثم أخبر النبي ﷺ فرفع النبي عليه السلام يده وقال: اللهم اغفر لأبي ثلاثا.

مكرمة، في (كتاب الجواهر): لما حج معاوية ؓ قال الحسين لأخيه الحسن رضى الله عنهما: لا تسلم عليه قال: إن علينا دينا فلا بد أن أذهب إليه فتلقاه وسلم عليه وأخبره فمروا بنجيب عليه ثمانون ألف درهم وهو مضطلع، فقال: اصرفوه إلى أبي محمد.

مكرمة: جاء أنصاري إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - فقال: يا ابن عم رسول الله إنه ولد لي في هذه الليلة مولود وإني سميتُه باسمك وإن أمه ماتت، فقال: بارك الله لك في الهبة، وأجزل لك أجر المصيبة، ثم دعا بوكيله فقال: اشتر لهذا المولود جارية ترضعه، وخادما يخدمه، ومائتي دينار للنفقة على أمه، ثم قال: عد إلينا بعد أيام، وإني قد جئنا وفي المال قلة، فقال الأنصاري: جعلت فداك، إنك لو سبقت حاتما ولو بيوم واحد ما ذكرته العرب، وأنا أشهد أن غبار جودك أكثر من مجهود جوده، فلم يزل يبر الأنصاري حتى مات.

مكرمة: نزل الشافعي ببغداد في دار أبي حسان الزيايدي سنة في أنعم حال، ثم استأذنه في الخروج إلى المدينة فبعث أبو حسان إلى ستة من إخوته ست رقايع فرجع جوابها مع كل رقعة ألف دينار فصبها بين يدي الشافعي ؓ ثم بكى أبو حسان، فقال له الشافعي: ما يبكيك؟ قال: ما كنت أقدر أن أكتب إلى أخ من

إخواني في أخ مثلك نزل عليّ في شرفك ومنصبك.

مكرمة: باع الشافعي ضيعة بمائة ألف فقسمها هكذا وهكذا.

مكرمة ابن عيينة: جاء إليه ابن أخيه، فقال: جنتك خاطبا لابنتك، فقال: كفو كريم، ثم قال: اجلس فجلس، قال: يا بني، اقرأ عشر آيات من كتاب الله تعالى، فلم يستطع، فقال: ارو عشرة أحاديث، فلم يستطع، قال: أنشد عشرة أبيات شعر، فلم يستطع، قال سفيان: لا قرآن ولا حديث، ولا شعر، فطلى أي شيء أضع عندك ابنتي، ثم قال له: لا أخيبك فأمر له بأربعة آلاف درهم.

مكرمة: كتب الواقدى رقعة إلى المأمون يشكو إليه كثرة دينه، فكتب إليه: أما بعد فإتك رجل فيك خلتان: سقاء وحياء، فالسقاء هو الذي أطلق ما في يدك، والحياء هو الذي يمنعك من أن تبلغنا ما أتت عليه، وقد أمرت لك بمئة ألف درهم.

مكرمة أبي مرثد: كان من الكرام مدحه بعض الشعراء، فقال: وما عندي ما أعطيك؟ ولكن قدمني إلى القاضي وادع عليّ عشرة آلاف درهم حتى أقر لك واحبسني، فإن أهلي لا يتركوني مسجوناً، ففعل فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم.

مكرمة: سأل رجل الحسن بن علي شينا فأعطاه خمسة آلاف وخمسمائة درهم، وقال: أنت بحمال يحملها لك، وأعطاه طيلساته، وقال: يكون كراء الحمال من قبلي.

مكرمة: سألت امرأة الليث بن سعد سكرجة عسل، فلم لها بعشرة أزقاق^(١) من عسل، فقيل له، فقال: إنها سألت علي قدر حاجتها، ونحن نعطي علي قدر همتنا.

(١) أزقاق: جمع (زق)، وهو السقاء، أو جلد يجزأ ولا ينتف للشراب وغيره. "القاموس المحيط".

مكرمة: أهدت عجوز إلى السلطان محمود الغزالي طبق ملح، فأمر أن يجعل مكانه من الذهب، فقيل له، فقال: أعطت على قدر همتها، ونحن نعطي على قدر همتنا.

مكرمة: قال بعض الناس: صليت في مسجد أشعث في الكوفة أطلب غريما لي، فلما سلمت وضع بين يدي كل رجل حُكَّةً ونعلان، فقلت: ما هذا؟ قالوا: إن الأشعث قدم من مكة فهذه هديته لأهل جماعة مسجده، فقلت: أنا أطلب غريما لي، فقالوا: هو لكل من حضر.

مكرمة صعصعة بن ناجية، محيي الوئيدات، لم يشركه في هذه المكرمة أحد، كان ينادي في أحياء العرب: لا أسمع برجل يريد أن يند ابنته إلا اشتريتها بالقوحين^(١)، فعمل حتى جاء الإسلام ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١].

يا هذا استحي من الله تبارك وتعالى من إيراد هذه المكارم. هل من بني زمانك أو من سلطانك واحدة مما عدتها؟! يا عجا، ودهرنا عجائب، هذا كافر يأتي بالمكارم، والمنتمون إلى الإسلام بمعزل، أين الرجال يا نساء الرجال وربات الحجال؟ قل للوزراء حتى يطالعوا، وقل للرؤساء حتى يتهينوا، فقد غاض الكرام، ونبغ اللثام، وتكدرت الأيام.

مكرمة غالب بن صعصعة، أبو الفرزدق: أقرى مائة ضيف واحتمل عشر ديات، وهو لا يعرف من هم.

مكرمة: فقير كان يمشي في شوارع بغداد فنظر إلى جارية الخليفة فشغف بها حتى عجز عن الصبر، فكتب قصته ودفعها إليه، فقال: اطلبوا صاحبها فأحضر، فقال: أي شيء حملك على هذا؟ فقال: ثقة بكرمك واعتمادا على تفضلك. فقال: لا نخالف ظنك فأعتقها وزوجها منه.

(١) لعلها (بالقوحين)، فالقوحين لا معنى لها.

بعث عبد الله بن جعفر إلى وليمة بخمسمائة دينار، واعتذر من حضوره، وسأله أن يحلله من ذلك.

عطش عبید الله بن أبي بكر فاستسقى في طريقه من منزل امرأة، فأخرجت كوزاً، وقالت: إني امرأة من العرب مات صاحبي منذ أيام، فشرب، وقال لغلامه: احمل إليها عشرة آلاف درهم، فقال: سبحان الله أتسخر بي؟ فقال: أعطها عشرين ألفاً، قالت: أسأل الله العافية، قال: يا غلام احمل إليها ثلاثين ألفاً، فردت الباب فأعطها ثلاثين ألف درهم فما مضى الشهر حتى كثر خطبها.

مكرمة: مرض قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانه في العيادة، فقيل: إنهم يستحيون من الدين الذي لك، فقال: أخزى الله الدين، ثم أمر منادياً من كان لقيس عليه مال فهو في حل؛ فكسرت عتبه بالزحام.

مكرمة: خرج عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم، وفيها غلام أسود، فدخل كلب النخيل، فرمى إليه الغلام بقصرص فأكله، ثم رمى بالثاني والثالث، وعبد الله ينظر فقال: يا غلام كم قوتك؟ قال: ثلاثة أرغفة، قال: فلم آثرت هذا الكلب، قال: ما هي بأرض كلاب، فطمت أنه جاء من مسافة بعيدة فكرهت رده، قال: فما أنت صانع اليوم، قال: أطوي يومي، فقال عبد الله: أمدح بالسخاء وإن هذا لأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وأعتقه ووهبها له. أين أصحاب الدعوى فيعتبرون هذه المكرم، لا قعبلن من لبن.

مكرمة: أتى رجل صديقاً له فدق الباب فخرج، فقال: لماذا جئتني؟ قال: لأربعمائة درهم ركبتني، فدخل ووزن أربعمائة درهم ودفعها إليه، ودخل الدار باكياً، فقالت له امرأته: هلا تعلت حين شق عليك؟ فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتيحي به.

مكرمة: أراد رجل عبد الله بن العباس فأتى وجوه البلدان وقال: يقول لكم

فلان: تغدوا عندي اليوم، فاتوه فملأوا الدار، فقال: ما هذا؟ فأخبر الخبر فأمر بشراء الفواكه والطبيخ، فلما فرغوا قال لوكلائه: أ موجود لنا كل يوم هذا؟ قالوا: نعم، قال: فليتخذ هؤلاء عندنا كل يوم.

مكرمة أبي سهل الصعلوكي: سأله إنسان شيئاً فلم يحضره فقال: اصبر حتى أفرغ من الوضوء، فلما فرغ من الوضوء، قال: خذ القممة واخرج ووهب جبته من إنسان في الشتاء وكان يلبس جبة النساء حين يخرج إلى التدريس ولم يكن له جبة.

مكرمة عبيد الله بن العباس: أرعى رجلاً إبلاً له فأسمنها وردها، فقال: كيف تراها؟ قال: تسر الناظرين وتخصب الزائرين، قال: فإتها لك ولك أجرها فبكى الأعرابي، فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكي ضناً بهذا الوجه أن يعفر في التراب، قال: هذا القول أكرم من هذا الفعل.

مكرمة: جاء رجل إلى زياد فقال: إن لي حرمة أفأذكرها؟ قال: ما هي؟ قال: رأيتك بالطائف وأنت صغير ذو ذؤابة أحاط بك جماعة من الغلمان وأنت تركض هذا برجلك وتنطح هذا برأسك وتكدم هذا بأنيابك، حتى كاثروك فأخرجتك من بينهم وأنت سليم وكلهم جريح، فضحك وقال: كآني أنظر إلى ما تصف، ولقد ذكرتني حالاً وددتها بباقي عمري كله، ولكن ما حاجتك؟ قال: اكفني عن الطلب، فدعا خازنه، وقال: أعطه كل صفراء وبيضاء عندك فبلغت قيمة جميعها أربعة وخمسين ألف دينار. والله إني لأستحي من رواية هذه المكارم وارتعض في زمان يتباهى فيه باللؤم ويتبجح فيه بالسخف.

مكرمة عدي بن حاتم الطائي: خطب ابنته عمر فقال: أزوجكها على حكمي فخاف عمر أن يميل في الحكم فأمسك وشلور، فقيل: تزوج على حكمه فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال: زوجتك على السنة على أربعمئة درهم فبعث إليه بكرامة ابنته أربعين ألفاً وغلماً وثياباً، فقسمها بين جلسائه وجهز ابنته من عنده.

الباب الثامن

في حكايات أهل الفتوة

حكاية: كانت امرأة بنيسابور حملت زوجها إلى القاضي تدعي عليه خمسمائة دينار فأنكر الرجل، فاستدعى القاضي منها إحضار الشهود، فأحضرتهم، فقالوا: حتى نكشف عن وجهها، ثم نشهد فهمت أن تسفر عن وجهها، فصاح الرجل وأدركته الغيرة، وقال: أنتم تريدون أن تنظروا إلى وجه زوجتي، أيها القاضي أشهد أن لها عليّ حقاً واجبا ستمائة دينار، فتعجب القاضي والحاضرون من حميته وغيرة، فقالت المرأة: أيها القاضي أشهدك أنه بريء من حقي وإني قد أحللته من ذلك؛ فتعجبوا غاية العجب، ثم قال القاضي: اكتبوه وضعوه في باب الفتوة.

حكاية: رجل همداني ضيع كيسا به دناتير بمكة فدهش وتعلق بجعفر بن محمد الصادق، وقال: أنت أخذت دناتيري، وكان لم يعرفه، فقال جعفر: كم كان فيها؟ قال: مائة دينار، فحمله إلى بيته وأعطاه من ماله، وقال: انتفع بها ليقضي الله أمرا كان مفعولا، فاتفق أنه وجد ضالته، وعرف منزلة جعفر بين الناس، ف جاء إليه بالدناتير معذرا، فقال جعفر: كلا ليس من المروءة أن يرجع الرجل في شيء قد وهبه، ولم يأخذه.

حكاية: كان رجل نيسابوري يدعي الفتوة، فاجتاز يوما بمفرق الطرق فرأى شابا مريضا يتأوه ويستغيث فتقدم إليه وقال: ما تشتهي؟ قال: أشتهي رؤية أمي والرجوع إلى وطني، قال: أين منزلك؟ قال ببلخ، فأخذ الرجل بمجامع لحيته ولطم نفسه وكان اسمه أبا الحسن، فقال: يا أبا الحسن، كنت أظن أنه يشتهي فقاعا أو قصعة هريسة، ادعيت الفتوة فهات المعنى، فرجع إلى بيته وباع داره واكترى راوية وحمولة، وأتى وحمل الرجل، وأوصله إلى منزله، فرأى عجوزا تبكي وتستغيث، وتقول: متى ألقاك قرّة عيني؟. فلما رأته غشي عليها من الفرح، فلما أفاقت قالت: رضي الله عنك وأدخلك الجنة، فرأى الشاب في المنام أن هاتفا يهتف

به: أبشر فقد رضي الله عنك، وكتب اسمك في جريدة السعداء.

حكاية: كان أبو حسان الزيادي ببغداد يسعى في مصالح المسلمين فجاءه ذات يوم رجل صالح، فقال: إن بيته قد تهدم، وأطفاله جلوس في السوق، ولا شيء بيدي أنفق عليهم فأدركني، فرق أبو حسان وحمله إلى أبي غسان بن عباد وأجلسه في ناحية من الدار. وقص على أبي غسان القصة وكان رجلاً كريماً مفضلاً جواداً، قال: أوه قد أحرقت كبدي، أين الرجل أيها القاضي؟ قد أحنزنتني فهناك خمسة آلاف درهم، عجل بها إليه ليصرفها إلى وجه النفقة والعمارة، وأخبره أنني ما دمت حياً فنفتته وكفايته عليّ، فأخبر القاضي أبو حسان الرجل ففرح بذلك، فرأى القاضي تلك الليلة في المنام أن ملكاً أخذ بيده وأدخله الجنة وأراه قصراً عجباً مكللاً بالدر والياقوت ووراءه قصر أحسن منه، فقال له الملك: يا أبا حسان إن الله تعالى خلق هذا القصر وأسسه من ياقوت أحمر لأجلك بسبب سعيك في أمر ذلك الفقير وإدخال السرور في قلبه، وخلق ذلك القصر باسم أبي غسان وإحسانه الذي صنع مع ذلك الرجل.

فليعلم أن إدخال السرور في قلب الرجل المسلم من أعظم العبادات، وإقامة الكرم والإحسان من شيم أهل المروءات، طوبى لمن جرت على يديه الأمور الصالحات.

الباب التاسع

في مكارم الأخلاق

قال النبي ﷺ: «مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في السيد، ويقسمها لمن أراد به السعادة: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذلل للصاحب، وإقراء الضيف، ورأسهن الحياء». وكان فيه ﷺ حلم إبراهيم، وزهد عيسى، وغلظة

موسى، وشدة نوح، وصبر أيوب، وسعة سليمان، فجمع من مكارم الأخلاق ما كان متفرقا في الأنبياء صلوات الله عليهم؛ فسماه الله تعالى عظيما. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ خُلَاقِي عَظِيمٍ ۝١﴾ [القلم: ٤] ثم دعا عباده إلى الاقتداء به والتخلق بأخلاقه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الباب العاشر

في الفرق بين الفتوة والمروءة

اعلم أن أمر الدين موضوع على شينين: ديانة تصحبها، ومروءة تحفظها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَوَاصِبًا بِالصَّبْرِ وَوَاصِبًا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] فمن قصد أن يوطن نفسه على صلة من قطعه، وإعطاء من حرمه، والعفو عن ظلمه، فلا يستمر على ذلك إلا بالصبر، والدين أساس كل خير، ومن لا دين له لا مروءة له، ومن لا دين له لا فتوة له، ومن لا دين له لا صبر له، ومن لا دين له لا عقل له، ومن لا دين له لا عفة له، ومن كان له دين وعقل ومروءة وصبر ولم يكن له خلق حسن فلا شيء معه. قال معلوية: المروءة في أربع: العفاف في الإسلام، واستصلاح المال، وحفظ الإخوان، وعون الجار، فالفتى صاحب المروءة إذا حَسَبَ يحسن، ويحسن الاستماع إذا حُدِّثَ، ويحسن بشره إذا لقي، ويبسر المؤنة إذا خولف، ويترك ممازحة من لا يثق بعقله، وقال: العافية: الشباب والصحة، والمروءة: الصبر على الرجال.

سؤال: ما الفرق بين المروءة والفتوة؟ فأقول: الفتوة تخلف المروءة في أمر واحد، وهو أن المروءة إصلاح الظاهر من آفات دنيء الأخلاق وسفلسفها ليرتفع بها عند الناس ويحظى عندهم. والفتوة: إصلاح الباطن من آفات دنيء الأخلاق ليرتفع بها عند الله ويحظى لديه. قال: اتخذ لأمير المؤمنين عليه السلام حنيس^(١)،

(١) الحنيس: الخلط، وتمر يخلط بسمنٍ وأقِطٍ، فيعجن شديداً، ثم ينثر منه نواه، وربما جعل فيه سويق. "القاموس المحيط".

فحضره مسكين فأعطاه إياه، فقيل: يا أمير المؤمنين ما تدري ما هذا المسكين؟، فقال: رب المسكين يدري، وغلا بالمدينة السعرا فجعل عمر يأكل خبز الشعير فجعل جوفه يصوت فيضرب بطنه ويقول: والله مالك إلا هذا حتى يوسع الله على المسلمين. واشتهى يوما شربة من عسل فأتى به فجعل يديره ويقول أشربها فتذهب حلاوتها ويبقى نقيتها، فدفعها إلى فقير، وقال: من جاع واحتاج فكتمه الناس وأفضى إلى الله بحاجته كان حقا على الله أن يعين له رزق سنة من حلال؛ وليس من الفتوة الفسق والفجور، ولكن بشرّ مقبول، ونائل مبدول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

قال هارون الرشيد: المروءة: ثلاثة أثلاث: فتلتها الفطنة، وثلاثها التغافل. قال رجل للأحنف: دنني على مروءة بلا مؤنة، فقال: عليك بالخلق الفسيح، والكف عن القبيح، واعلم أن الداء الذي أعيا الأطباء اللسان البذيء والفعل الرديء، والله أعلم وأحكم.

الباب الحادي عشر

في حديث نعيمان

أنبأنا هشام بن عمرو عن أبيه قال: أقبل أعرابي على ناقة له حتى أناخ بباب المسجد، فدخل على النبي ﷺ وحمزة بن عبد المطلب جالس في نفر من المهاجرين والأنصار فيهم نعيمان، فقالوا له: ويحك إن ناقته سمينة، وقد قرمنا^(١) إلى اللحم فلو نحررتها لغرمها^(٢) رسول الله ﷺ وأكلنا لحما، فقال: إني إن فطنت ذلك وأخبرتكموه بما صنعت وجد على رسول الله ﷺ قالوا: لا نفعل، فضرب

(١) قرمنا: من القرم، وهو شدة شهوة اللحم.

(٢) أي: دفع لك ثمنها. "القاموس المحيط".

